المجلس الثاني

شرح

المواهب الربانية في الآيات القرآنية

للعلامة السعدي

للدكتور أبي بكر القاضي

www.abobakrelkady.net

المجلس الثاني

■■ قال: في قوله تعالى: {وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ }
[البقرة:٢٢١]

يقولُ الشيخ: يؤخذ من نَهي الله جل وعلا عن نكاح المشركة ، وإنكاح المؤمنة للمشرك وتعليل ذلك، طبعًا هذه الآية منسوخة من آية في سورة المائدة قال تعالى: {وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ}
[المائدة:٥]

إذًا منسوخ أو مخصوص من لفظ المشركين، أوالمشركات : أهل الكتاب.
أي: أنّ في الأصل المرأة الوثنية لا تُنكح، فهذه الآية تخبرنا بأنه حرام، وأي شخص يعبد غير الله فهو مشرك ، وفي الحقيقة النصارى مشركين، يقولون: عيسى ربي!!

واليهودية مشركة، فكيف تنكح؟
نقول أن هذه الآية التي في "سورة البقرة " منسوخة بآية في "سورة المائدة " مخصوصة؛ ولو كان الأمر على ما هي عليه هذه الآية لكان حرام زواج النصرانيات ، وزواج اليهوديات ؛ ولكن نُسخت بآية في سورة المائدة ؛ مع وجود بقاء الكراهة، يعني جواز زواج المسلم من النصرانية مع الكراهة. (النسخ عند السلف يشمل التخصيص)

يقول: "يؤخذ بنهي الله عن نكاح المشركة، وإنكاح المؤمنة للمُشرك؛ وتعليل الله لذلك؛ أنه ينبغي اختيار الخُلطاء، والأصحاب الصالحين الذين يدعون إلى الجنة بأقوالهم وأفعالهم وتجنب ضدهم من الأشرار الذين يدعون إلى النار بحالهم، ومقالهم، ولو كان ذوي جاه وأموال، وأُبَّهة، ولو كان الأولون فقراء ولا جاه لهم ولا قدر عند كثير من الناس؛ لأن اختيار السعادة الأبدية أولى بالعاقل من حصول حظ عاجل يعقب أعظم الحسرة وأشد الفوت فتخير الخلطاء والأصحاب من شيم أولي الألباب"

انظر إلى الفائدة: الآية تخبرنا: ولا تنكحوا المُشركات؛ لماذا لا تنكح المُشركات؟
لأن هذا حرام شرعًا، لكن ما علة الحُكم؟
أن الطبع سرَّاق، يسرق من طباع الناس دون أن تدري، وأن العبد لا يأمن على دينه مع زوجة تدلُّه على النار، كيف ذلك؟
لأن مُلازَمة الزوج لزوجته طويلة، والطباع تتآلف.

فهنا نظر "الشيخ السعدي" إلى العلة من الحكم الشرعي؛ فالعلة هي الغاية، والحكم الشرعي هو الوسيلة ، فنظر إلى الوسائل الأخرى التي تؤدي إلى نفس الغاية.

إذنْ الخليل، والصاحب، والصديقة، والصاحبة وغير ذلك؛ قد تؤدي بالإنسان إلى نفس الغاية من فساد الدين، فهذا هو التدبر، التدبر ليس معناه أن تأتي بمعنى الآية.

إذًا ما هو معنى التدبر؟
أن تفهم معنى الآية، وأن تستوعبها، ثمّ يترتب على هذا أن تأتي بالوسائل الأخرى التي تؤدي إلى نفس الغاية، تقيسها على الحكم الشرعي الذي في الآية فتستنبط أحكامًا شرعية أخرى.

فهو هنا يقول: أن الله نهى عن نكاح المشركة، وإنكاح المؤمنة للمُشرك؛ إذن المرأة قد تضيع دينها إذا تزوجت مشركًا، والرجل قد يضيع دينه إذا تزوج مُشركة.

إذنْ الحفاظ على الدين هنا مقصد، الحفاظ على الدين من خُلطاء السوء.

من هو أقرب شخص يخالطه الإنسان؟ الزوج أو الزوجة.

من يأتي بعدهم مباشرة؟ الأصحاب والخُلَّان هم أكثر من يخالطهم الإنسان بعد الزوج والزوجة.

تتساءل، وتقول: يخالطهم أكثر من الأم والأب؟
نعم، قد يكون أكثر من الأم والأب، وقد يكون أكثر أيضًا من الأرحام وهذا هوالواقع.

أنت تجد في بعض الأحيان زملائك في العمل، أوأصحابك المقربين إليك قد يكونوا أقرب لك من أرحامك، بالرغم أنك تصل أرحامك ، ولكن الأرواح جنود مُجندة في أمر الأصحاب.

لذلك لا تُصاحب إلا مؤمنًا كما قال -ﷺ-:
)لا تُصاحِبْ إلَّا مُؤْمِنًا ، ولا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلَّا تَقِيٌّ) صحيح أبي داود.
لا تُصاحب إلا مؤمنًا لماذا؟
لأن غير المؤمن يدعوك إلى النار، وأما المؤمن فيدعوك إلى الجنة.

🔷قال: "فصلٌ يؤخذ من نهي الله عن نكاح المشركة، وإنكاح المؤمنة للمشرك، وتعليل الله بذلك؛ أنه ينبغي اختيار الخلطاء والأصحاب الصالحين الذين يدعون إلى الجنة بأقوالهم وأفعالهم، وتجنب ضدهم من الأشرار الذين يدعون إلى النار بحالهم ومقالهم"

الإشكالية إنّ الدعوة إلى النار والدعوة إلى الجنة ليست فقط بالمقال، وإنّما تشمل أيضًا أن يدعوك صاحبك إلى الجنة أو النار بالحال، أي أن هيئة صاحبك وشكله لوحدها تدعوك إلى النار: من غفلته، وكثرة استهزائه بالآخرة، واستهزائه بأمر الدين، وكثرة استهزائه بأمر الطاعة و تفريطه فيها، وكثرة كسله ووخمه، هذا لوحده يدعوك إلى النار فضلاً عنه أن يتكلم، فلذلك على الإنسان أن ينظر إلى من يُخالل، هل يجرُه إلى النار أم يجرُه إلى الجنة؟

◆قال: وتجنب ضدهم من الأشرار الذين يدعون إلى النار بحالهم ومقالهم، ولو كانوا ذوي جاه"
هؤلاء الأصحاب حتى لو كانوا ذوي جاه لا تتخذهم، لماذا؟
لأنهم أشرار يدعونك إلى النار.

◆قال: "وأموال وأُبهة "
لا تنظر لا إلى الأموال ولا إلى الأُبهة، وإنّما انظر فقط إلى الدين، هذا بالضبط عندما تختار الزوجة، تختارها على أي معيار؟ إذا نكحت المرأة لجمالها، أولحسبها، أومالها لا حرج، لكن فاظفر بذات الدين تربت يداك.

)ذات الدين، وذا الدين)، فالزوجة أيضًا ينبغي عليها أن تختار ذا دين، وهكذا في أمر الخُلطة في أي خُلطة، عندما تختار أصحاب يصاحبونك ويسايرونك، ويسيرون معك في الطريق سواء طريق الحياة، أو أي طريق آخر فاختار ذا الدين ، صاحب الأمانة، صاحب الخُلق، الوفي النبيل، صاحب النبل.

لا تنظر إلى الأموال ولا إلى الأُبهة فقد تُغطي خِسة معدن لاتعلمه، انظر إلى معدن الإنسان هل هو خسيس أم هو نفيس؟!
ولا يكون نفيساً إلا إذا كان متديناً.

✳ إذًا هنا الشيخ السعدي قام بعملية التدبر حيث أنه نظر إلى علة الحُكم الشرعي في تحريم نِكاح المُشركات ⬅ وهي أن الخُلطة بالأشرار تؤدي إلى ضياع الدين.

وهنا أخذ منها حكم أوسع، أنه كما ينبغي أن نختار ذات الدين في أمر الزواج، أيضًا ينبغي أن نختار ذا الدين في علاقاتنا من: الصحبة، والصداقة، والخُلة، وغيرها من العلاقات، ولا ننظر إلى الأموال أو الأُبهة، ولا إلى الفقر في اختيار الأخيار.

}وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ{ [الأنعام : ٥٢]

حتى لو كانوا فقراء، حتى لو كانوا صعاليك؛ لأن أمر الدنيا وغناها بيد الله تبارك وتعالى هو الذي يُعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الآخرة والدين إلا لمن يحب.

🔷قال: "ولو كان الأولون فقراء ولا جاه لهم ولا قدر عند كثير من الناس" لماذا؟! لأن اختيار السعادة الأبدية أولى بالعاقل من حصول حظ عاجل. "

إن قلت: لكن المشركة شكلها فائق الجمال، وتمتلك الأموال، وتمتلك كذا وكذا.....

أجيبك: بأن كل هذا لا يساوي شيء مقابل أن تضيع دينك فتضيع آخرتك، وقسْ هذا على الأصحاب فلا تأمن أبدًا على دينك مع صاحب سيء.

قال: "فتخير الخُلطاء والأصحاب من شيم أولي الألباب".

■■ يقول الشيخ رحمه الله: احتجاج الفقهاء على أنه لا يجب على الزوج أن يطأ زوجته إلا في كل ثلث سنة مرة، في قوله تعالى: {لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ} [البقرة:٢٢٦]

بعض أهل العلم استنبط من هذه الآية: أنه يجب على الزوج أن لا يطأ زوجته إلا كل أربعة أشهر.
السنة فيها اثنا عشر شهرًا، إذًا كل أربع شهور واجب عليه أن يطأها مرة، وهذا أمر غير محتمل، هذا كلام بعض أهل العلم، لكن كلامهم مردود، لماذا؟! لقوله تعالى: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [النساء:١٩]

ما المقصود بالمعروف؟
العُرف: هو الذي يرجع لعُرف المجتمع، وإلى ما تحتمله المرأة، وما يُشبعها.

الشيخ يقول: "أن هذا الاستدلال فيه نظر، وإنّما فيه الدلالة على أن للمؤلي خاصة هذه المدة لأجل إيلائه - والإيلاء: حلف الزوج، على ترك وطء زوجته أبداً، أو أكثر من أربعة أشهر- وأما غير المؤلي فمفهومها يدل على خلاف ذلك، وأنه ليس له أربعة أشهر، وإنّما عليه ذلك بالمعروف، لأنه من أعظم المعاشرة الداخلة في قوله تعالى: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [النساء:١٩] فمن آلى زُوجها منها فله أربعة أشهر، ولا تملك المطالبة إلا أن يتبيّن أن قصده الضرار؛ فيمنع من ذلك"

الأربعة أشهر هو الحد الأقصى الذي تستطيع أن تتبيّن المرأة أن زوجها يقصد الإضرار بها إن لم يطأها، فتبدأ حينها أن تطالب بحقها الشرعي عند القاضي.

فليس من حق الزوج أن يحدد المدة المناسبة على حسب هواه، فالزوجة لها: حق، ورغبة، ومشاعر يجب أن تُحترم، وأمور أخرى.
فهذا هو الحد الأقصى الذي يتبيّن به أن قصده الإضرار؛ فيُطالب بالحق عند القاضي.

وهذا ليس هو الواجب، إنّما الواجب يرجع للعرف لقوله تعالى: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [النساء:١٩]

التدبر ليس فقط أن تستخرج فوائد تربوية، أو فوائد بها: سجع، وشعر، ومشاعر؛ بل التدبر يشمل أن تستخرج فوائد فقهية، وفوائد أصولية، وفوائد لغوية، (فالقرآن بحر: كل العلوم تفهمها من خلاله)

■■ قال تعالى: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}
[البقرة:٢٢٨]
وكذلك قوله تعالى:{ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا} [البقرة:٢٣٤]

كثيرٌ منّا يغفل أثناء قراءته لآيات الطلاق وآيات المواريث من سورة البقرة أن يتدبرها، ويقف على معانيها.
بعض من مشايخنا كانوا يبكون عند قراءة هذه الآيات فيتعجب الناس من بكائهم فهم لا يفهمونها، لكنهم كان يبكون؛ لأنهم على فهم، ووعي لمعاني تلك الآيات.

معظم الناس يعتقدون أن البكاء يكون مثلًا في سورة "ق"، فتجد أحدهم يبدأ بقراءة السورة حتى يصل إلى قوله تعالى: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ} [ق:١٩]، فتجده يتقطع من شدة البكاء والعويل، ولكن أين تأثرك بالآيات السابقة؟!

نحن نتعامل مع القرآن بنظرية انتقائية.

فآيات الأحكام لا نبكي فيها ولا نتأثر ونمر عليها مرور الكرام مثل بعض أجزاء سورة البقرة وسورة النساء والبعض في سورة المائدة وسورة الأنعام، ولكن عندما نأتي إلى سورة الأعراف يبدأ هنا التأثر والبكاء.
وهذا فعل خاطئ، فهذه نفسية انتقائية جاهلة تتعامل مع القرآن.
فالأصل أن أفهم جميع المعاني؛ حتى معاني آيات الأحكام، ونتأمل فيها ونتدبرها.

◆ هنا يقول الشيخ ويعلق على {.. يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ}..
التربص المذكور هو: الانتظار والمكث في العدة.
فما الفائدة من قوله {بِأَنْفُسِهِنَّ} من أنه يغني في قوله "يتربصن ثلاثة قروء" أو "يتربصن أربعة أشهر وعشرة"؟!
فيقول الشيخ السعدي: " فاعلم أن في قوله {بِأَنْفُسِهِنَّ} فائدة جليلة: وهي أن هذه المدة المحدودة للتربص مقصودة لمراعاة حق الزوج والولد، ومع القصد لبراءة الرحم، فلابد من أن تكون في هذه المدة منقطعة النظر عن الرجال..."

{◆بِأَنْفُسِهِنَّ} كأنها داخلة في نفسها، داخلة في بيتها، بعيدة عن نظر الرجال غير متزينة، غير مُتبذلة للرجال.
قال:" محتبسة على زوجها الأول، لا تُخطب، ولا تَتَجمل للخُطاب، ولا تعمل الأسباب في الاتصال بغير زوجها".

هذا يكون في عدة الطلاق الرجعي تتربص ثلاثة قروء، ولو مات عنها زوجها تتربص أربعة أشهر وعشرة، وهذا يستوجب عليها أن لا تتجمل، ولا تتبذل للرجال، ولا غير ذلك في تلك المدة، كأنها داخلة في نفسها.

قال:"{ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيَ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ} [البقرة:٢٣٤] أي: من التجمل والتبّهي، ولكن بالمعروف على غير وجه التبرج المحظور، ويدل على هذا قوله في الآية الأخرى: { وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ} [البقرة:٢٤٠]

فلم يأمر هذه المرة أن يتربصن بأنفسهن؛ بل جعلها وصية تتمتع بها المرأة سنة بعد موت زوجها؛ جبرًا لخاطرها؛ ولهذا رفع الحرج عنها بالخروج؛ وأنها بعد الخروج لها التَجمُل المعروف؛ وقبل ذلك. كما جبر الورثة قبلها لأجل زوجها فعليها العدل؛ وترك التَجمُل.
وهذا يبين أن الآية الأولى ليست بناسخة لهذه الآية؛ بل تلك عدّة لازمة، وهذه وصية تمتيع غير متحتمة؛ والله أعلم".

⬅ إذًا {فِي أَنْفُسِهِن} ما فائدتها؟
أنها تحتبس، ولا تتجمل، ولا تتبذل للرجال، وبعد مرورأربعة أشهر وعشرة؛ وبعد ثلاثة قروء؛ لها أن تفعل هذا بالمعروف، وهو أن تخرج { فَلا جُناحَ عَلَيكُم فيما فَعَلنَ في أَنفُسِهِنَّ بِالمَعروفِ} [البقرة:٢٤٣] على غير وجه التبرج المحظور.

الآية الأخيرة لمن لم ينتبه لها، وهي قوله تعالى: { وَالَّذينَ يُتَوَفَّونَ مِنكُم وَيَذَرونَ أَزواجًا وَصِيَّةً لِأَزواجِهِم مَتاعًا إِلَى الحَولِ غَيرَ إِخراجٍ} [البقرة:٢٤٠] فلم يأمر هذه المرة أن يتربصن بأنفسهن؛ بل جعلها وصية تتمتع بها المرأة سنة بعد موت زوجها جبرًا لخاطرها.
ولهذا رفع الحرج عنها بالخروج، وبعد الخروج لها التَجمُل المعروف وقبل ذلك، كما جبر الورثة قبلها لأجل زوجها فعليها العدل وترك التَجمُل.
إذًا هذا بعد انقضاء العدة؛ لها أن تتجمل وأن تخرج؛ فهذا لاحرج فيه
ولذلك لا يوجد تعارض بين هذه الآية والتي قبلها.

سؤال من أحد الحضور/ الأصل أنها تقعد { أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا}، لكن في الآية الثانية
}وَصِيَّةً لِأَزواجِهِم مَتاعًا إِلَى الحَولِ غَيرَ إِخراجٍ}؛ هل تقعد سنة أم أن هذا الحكم نسخ؟
لا...هذا الحكم يُجمع، يوجد قول بالنسخ، لكن الجمع أولى؛ أن هذا بعد الأربعة أشهر وعشرًا.

س/ لكن هل تقعد سنة؟
لا، في خلال هذه السنة تخرج وتتجمل بعد الأربعة أشهر وعشرا؛ لذلك لم يقل: (فِي أَنْفُسِهِنّ) في الآية الثانية.
هكذا انتهى الشيخ السعدي -رحمه الله- من الآيات التي في سورة البقرة.

■■ قال في الآية الحادية والأربعون من سورة آل عمران؛ "في أمر الله تعالى لزكريا بالذكر بالعشي والإبكار بعد البشارة له بيحيى عليهما السلام؛ وفي أمر زكريا لقومه بتسبيح الله بكرةً وعشيًا؛ تنبيهٌ على ماذا؟ على شكر الله تعالى على النعم المتجددة؛ لا سيما النعم التي يترتب عليها خيرٌ كثيرٌ، ومصالح متعددة".

إذًا لماذا أمر الله -تبارك وتعالى- زكريا -عليه السلام- أن يسبح بالعشي والإبكار حين بشره بيحيى؟
إشارة إلى الشكر.

ما هي العلامة التي جعلها الله لزكريا لمعرفة أن زوجته حامل؟
ألا يكلم الناس ثلاث ليال سويا، عندما يلجم لسانك عن الكلام، لكنه سيتحرك بالذكر فقط؛ فهذه علامة على أن زوجتك حامل.

وجاءت العلامة سريعة؛ لذلك قال تعالى:{ فَخَرَجَ عَلى قَومِهِ مِنَ المِحرابِ} [مريم:١١] "فخرج" هذه فاء السرعة.
أول ما خرج من المحراب وجد نفسه أنه توقف عن الكلام معهم.
}فَأَوحى إِلَيهِم أَن سَبِّحوا بُكرَةً وَعَشِيًّا} [مريم:١١]
أوحى إليهم: أي...أشار إليهم أني لا أتكلم إلا بالذكر.

إذًا...لما هذه الإشارة؟
إشارة إلى شكر النعم بالذكر.

نستنتج من ذلك: أنه ينبغي على الإنسان إذا جدد الله أو أحدث الله له نعمة؛ أن يشكر النعم بكثرة الذكر.

🔷قال: "وأنه ينبغي للعبد كلما أحدث اللهُ له نعمةً أحدث لذلك شكرًا"
إذًا من المفترض أن الإنسان يكون مراقب نعم الله عليه؛ اليوم رزقت بنعمة جديدة في حياتي؛ النعمة ليست أكل وشرب ونوم.

- لقد رزقني الله اليوم الفتح في القرآن.
- لقد رزقني الله اليوم بدمعة من خشيته -جل وعلا-.
- لقد رزقني الله اليوم بشخص ذكرني بالله -جل وعلا-.
- لقد رزقني الله اليوم بالفتح في أول ركعة في صلاة الظهر.
- لقد رزقني الله اليوم بالإتيان بصلاة الضحى ثمان ركعات.

)نِعَمْ) فوُجِب عليك الشكر؛ وليس {إِنَّما أوتيتُهُ عَلى عِلمٍ عِندي} [القصص:٧٨]؛ لكي تثبت لك النعمة.

ما هو أفضل أنواع الشكر في هذه الآية؟
الإكثار من الذكر.

نحن بحاجة لأن نراجع أنفسنا في قضية الذكر؛ نحن قليلوا ذكر الله ، وهذه من علامات المنافقين؛ أنهم لا يذكرون الله إلا قليلًا.
أذكار الصباح وأذكار المساء لا نقولها كاملة، فضلًا عن أننا مطالبين أن نذكر الله كثيرًا...كثيرًا
بمعنى:{ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اذكُرُوا اللَّهَ ذِكرًا كَثيرًا} [الأحزاب:٤١]

أسأل نفسك تُرى كم سبحت اليوم؟
لا أريدك أن تذكر لي العدد؛ ولكن هل أنت تراه كثير.

وبعد هذا من العجيب أن يأتي الناس يشكون من التعاسة، والضيق، والضنك، والرزق متوقف .....،هذا هو الطبيعي؟!
لأنك تحرم الرزق بالذنب تُصيبه.

قال حذيفة رضي الله عنه: (يا رسول كُنْتُ رجُلًا ذَرِبَ اللِّسانِ على أهلي فقُلْتُ : يا رسولَ اللهِ إنِّي خشِيتُ أنْ يُدخِلَني لساني النَّارَ فقال-ﷺ-: فأينَ أنتَ عنِ الاستغفارِ؟ إنِّي لَأستغفِرُ اللهَ في اليومِ مِئةَ مرَّةٍ، قال أبو إسحاقَ: لأبي بُردةَ فقال: وأتوبُ) صحيح ابن حبان.

ذرب اللسان: سليط اللسان، كثير الغلط، وليس الشتم.
يغلط كثيرًا، ويقول كلام في غير محله.

سأل حذيفة النبي-ﷺ- ماذا افعل؟
قال: وأين أنت يا حذيفة من ذكر الله؟
أين أنت من الاستغفار؟ {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [هود:١١٤]
إذًا أكثر من الذكر، أكثر من الاستغفار.

وهذا أيضًا إرشاد لنا أن نكثر من الذكر: التسبيح، والتهليل، والتكبير، والتحميد، وغيرها من الأذكار.

قال: "وإن أفضل أنواع الشكر: الإكثارُ من ذكر الله تعالى، وتسبيحهِ وتقديسهِ والثناءِ عليه"

■■ قال الشيخ رحمه الله:" لما قُتِل من قُتِل من الصحابة شهداء في سبيل الله أنزل الله على المسلمين { أَنْ بَلِّغُوا قَوْمَنَا أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا} فتلُوها مدة، فأنزل الله بدلها.

يتضح لنا أن هذه كانت آية ونسخت: {أَنْ بَلِّغُوا قَوْمَنَا أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا} فتلُوها مدة، أي أنها كانت آية ثم نسخت نسخة التلاوة وبقي الحكم، فأنزل الله بدلها، قال تعالى:
}وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ • فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ• يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ {
[آل عمران: ١٦٩-١٧١]

وفي هذا حكمة ظاهرة؛ فإنه مناسب غاية المناسبة أن يخبر الله عنهم إخوانهم وأصحابهم وأحبابهم بخصوصهم؛ ليفرحوا وتطمئن قلوبهم، وتسكن نفوسهم، ويقدموا على الجنة".

لماذا أخبر الله عن المجاهدين الذين دخلوا الجنة إخوانهم الذين لم يجاهدوا؟ حتى يُجَرّئ قلوب المؤمنين على الجهاد.

قال: "ليفرحوا وتطمئن قلوبهم، وتسكن نفوسهم، ويقدموا على الجهاد، فلما حصل هذا المقصود، وكان هذا الحكم ثابتًا - لمن قُتل في سبيل الله إلى يوم القيامة-، وكان من بلاغة القرآن وعظمته أنه يخبر بالأمور الكلية، ويذكر الأصول الجامعة أنزل الله هذه الآيات العامات المحكمات حكمة بالغة، ونعمة من الله على عباده سابغة"

لماذا نسخت نسخ تلاوة " بلغوا عنا إخواننا أنَ قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه" ؟
لأنها كانت خاصة بحادثة استشهاد بعض الصحابة ، فُجعل الحكم عام:

}وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا{ عبر العصور، ولذلك نُسخت الآية الأولى نسخ تلاوة وبقي حكمها متضمنًا في الآية الكلية العامة.

أي شخص يقتل في سبيل الله عبر العصور لن يموت في الحقيقة، وإنّما ستظل الأرواح في حواصل طيرٍ خضرٍ تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش.

- إذًا نسخت نسخ تلاوة كي نخرج من حادثة العين إلى الحكم العام.
- أخبر الله عن المسلمين الذين جاهدوا، ودخلوا الجنة؛ حتى يُقدموا، ويفرحوا، و يطمئنوا، ويُقدموا على الجهاد في سبيل الله.

نسمع كثيرًا مقولة (اسأل مجرب ولا تسأل طبيب)
وهذا ينطبق على من جرب وشاهد الآخرة، وشاهد ثواب الله جل وعلا فعندما يبعث رسالة إلى من لم يجرب كأنه يقول له: جرب، وأقبل، واجعل قلبك قويًا تُقبل به على الله جل وعلا، وعلى الجهاد في سبيل الله.
وهذه الطريقة من أفضل الطرق في تحقيق الاقناع سبحان الله!
هذه الأمور تَشْرئب إليها النفس كثيرًا، مسألة ما الذي حدث مع الأموات؟

يوجد بعض الأحاديث تتحدث عن ذلك، كحديث العباس بن عبد المطلب -رضي الله عنه- كان العباس وعمر متآخيَين، أي: متعاهدين على الإخاء في الله جل وعلا.

حديث العباس رضي الله عنه:
روى محمد بن عمرو الليثي عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن الْعَبَّاسِ قَالَ: " نِعْمَ الرَّجُلُ عُمَرُ كَانَ لِي جَارًا فَكَانَ لَيْلَهُ قِيَامٌ، وَنَهَارَهُ صِيَامٌ، وَفِي حَوَائِجِ النَّاسِ، قَالَ: فَسَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُرِينِيهِ فِي الْمَنَامِ، فَأَرَانِيهِ رَأْسَ الْحَوْلِ وَهُوَ جَاءٍ مِنَ

السُّوقِ مُسْتَحْيِيًا فَقُلْتُ مَا صُنِعَ بِكَ أَوْ مَا لَقِيتَ؟ قَالَ: فَقَالَ: "كَادَ عَرْشِي أَنْ يَهْوَى لَوْلَا أَنْ لَقِيتُ رَبًّا رَحِيمًا " الإمام أحمد في مسنده.
وفي روايات أخرى، ذكرت أن عمر قال: "الآن فرغت ولولا رحمة ربي لهلكت" أخرجه أبو نعيم في الحلية.

ما أردت إيصاله لكم من ذكر هذا الكلام: أن الناس عندها تَشوُّف لمعرفة ماحدث مع الأموات بعد الموت.

ذُكر في كتاب الروح لابن القيم -رحمه الله تعالى- في آخره في الرؤى (رؤى الصالحين للصالحين) أي: الصالحين يرون الصالحين في رؤى بعد موتهم، فيقال لكل واحد منهم ماذا فعلت.
فيسأل الحي الميت ماذا فعل معك ربك؟
ماذا حصل معك؟

جاء محمد بن سيرين لأحد منهم في المنام، فسأل الرائي بن سيرين
فقال له: ماذا فعلت؟
قال: أكرمني ربي وغفر لي.
فقال له: وماذا فعل الحسن البصري.
قال: هذا رُفع في الدرجات.
فقال له: كيف ذلك وقد كنّا نراك أعبد منه؟
فقال: بطول حُزنه؛ لم يكن بحزنه على الدنيا، بل بحزنه على الآخرة، والاهتمام بأمر الآخرة، الاهتمام بالعبادة القلبية.

فتجد أهل الدنيا دائما عندهم تَشُّوف لمعرفة ماذا فُعل بأهل الآخرة؟
وهنا أقصد الناس الصالحة التي تفكر في الآخرة، بخلاف الناس التي كل ما تذكر سيرة الآخرة تقول لك: اسكت اسكت!

أوإذا ذكرت سيرة الموت تقول لك: لا نريد أن نسمع هذا الكلام،أو بعد الشر عليك ! ومن هذا الكلام، وشتان ما بين هؤلاء وهؤلاء .

الناس الصالحة ليل نهار لا تفكر إلا في الآخرة؛ يريدون أن يعرفوا نتيجة الامتحانات؛ لذلك الرب -جل وعلا- أخبرهم ليُطمئن قلوبهم.

إذًا الأصل أنه يوجد قلق عند الصالحين من ناحية الآخرة.
- يريد أن يعرف نتيجة الآخرة؟
- يريد أن يعرف النجاح هناك من كم درجة، والمجاميع عالية ولا متدنية؟
- هل التنسيق عالي، وأين تم تنسيقه؟
- هل الدرجات عالية، وماهي الأخبار؟
- هل نعمل؟
- هل نزيد في العمل، والناس التي زادت في عملها حصلت على أي درجة؟
عندما يتواجد القلق، فالله يطمئنهم بهذه الآية.

يقول: ونظير هذا أي(نسخ التلاوة وبقاء الحُكم) قوله تعالى: {الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ نَكَالًا مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}
هذه الآية نسخت تلاوتها وبقي حكمها الرجم للزاني المحصن.

يقول: "فنسخ لفظها وجعل الشارع رجم لفظ الإحصان؛ لأنه هو الصفة الموجبة لا وصف الشيخوخة، ولكن في ذكر الشيخ والشيخة من بيان شناعة هذه الفاحشة ممن وصل إلى هذه الحال وقبحها ورذالتها ما يوطن قلوب المؤمنين في ذلك الوقت الذي كانت القلوب يصعب عليها هذا الحكم على الزنى، الذين كانوا آلفين له في الجاهلية، فلم يفاجئهم بحكم الرجم دفعة واحدة؛ بل حكم به على الشيخ والشيخة اللذين ماتت شهوتهما، ولم يبق لهما إرادة حاملة عليه إلا خبثُ الطبع وسوء النية، فلما توطنت نفوسهم على قبحه شرع لهم الحكم العام، والله أعلم".

ما معنى هذا الكلام؟

التدرج؛ لأن مسألة الزنا كانت عادية في أمر الجاهلية؛ فجاء أولًا بآية تدل على قُبح الزنا ممن ماتت شهوته كالشّيخ والشّيخة.
وهذا مادل عليه قول رسول الله-ﷺ-: {ثلاثةٌ لا يكلِّمهُم اللهُ ولا ينظرُ إليهم يومَ القيامةِ ولا يزكِّيهِم ولهم عذابٌ أليمٌ : شيخٌ زانٍ }

لماذا شيخ زانٍ؟
لأنه كُبر في عمره، وشاب شعره، ولكنه مستهتر بأمر الله جل وعلا فأتى بشيء مُستبشع، كيف للشيخ والشيخة أن يقيموا على الزنا بهذه الطريقة، وهم قد نالوا شهواتهم؟ لذلك حق عليهم بالفعل الرجم.

بعد ذلك نسخت الآية نسخ التلاوة وبقي الحكم بعلة الإحصان.
ما معنى الإحصان؟ الزواج.
حتى لو كان هذا الفعل من شاب مادام أنه تزوج، وذاق الحلال يرجم إن فعل الحرام.

وهذا الأمر يدل على التدرج، وهذا التدرج لابد أن يمارس في كل عملية تربوية، وكل عملية دعوية.
عندما تريد أن تدعوا الناس وتربيهم، لا تصدمهم بالأحكام ولا تصدمهم بالشرائع؛ إنّما قدم لهم الأدنى فالأدنى؛ ولكن ليس معنى ذلك أنه يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، وإنّما على حسب الحاجة.
اضرب لكم مثال للتوضيح أكثر:
- أنا أرى شخص ضائع تماماً الأفضل أن لا أكلمه في اللحية، إنّما أكلمه أولًا عن الصلاة.
- شخص يزني، أنكر المنكر الأقرب وهو الزنا، لا أكلمه في أمر آخر بل أكلمه فيما يناسبه.

فهذه الآية نسخت نسخ التلاوة وبقي الحكم متضمناً في السُّنة، حكم الرجم لم يذكر في القرآن، إنّما ذُكر الجلد فقط.
العقوبة الصغرى: في القرآن، والعقوبة الكبرى: في السُّنة.

وهذا نوع من الاختبار مقصود به القرآنيين الذين ينكرون السنة.
ابتلاء واختبار من الله جل وعلا؛ فيظهر لنا أُناس جاهلة زنادقة في الزمن الذي نعيشه الآن، يُمثلون الرويبضات ويقولون: لايوجد شيء اسمه رجم.
يعني القرود أحسن منهم، القرود الذين ثبت خَبرهم في البخاري حديث "عمرو بن ميمونة" رأى قرداً وقردة قد زنيا، وكانت القردة متزوجة من قرد كبير عجوز؛ فتركته وذهبت إلى قرد آخر صغير جميل؛ فزنيت معه فرجموها.
وهذا ثابت في البخاري، وهذه القصة حدثت قبل الإسلام، ورأى عمرو ذلك بعينه، عمرو بن ميمونة كان من المخضرمين الذين شهدوا الجاهلية، وشهدوا الإسلام.

هؤلاء القرود أفضل من قرودنا اليوم الذين ظهروا علينا، وتكلموا في النقاب، والحجاب، والزنا، وحرية الجنس، وغيرها من الأمور الأخرى.

لا نعلم إلى أين ذاهبون، نخشى صاعقة من السماء!
اليوم كان في مؤتمر لمنع النقاب!!
أنا لا أدري ما الذي يريدونه لهذا البلد؟

الشهوات أصبحت مستعرة في كل مكان، ماذا يريدون أكثر من ذلك؟ أن يحدث الزنا في الشارع، فعلًا هذا هو مقصدهم!!

- عندما تمنع كل الوسائل الوقائية للزنا.
- تفتح الاختلاط على مصراعيه.
- المواقع الإباحية على مصراعيها.
- الفضائيات على مصراعيها.
- وتريد أيضًا أن تمنع الحجاب، والنقاب!

ماذا تريدون؟ ما المقصود؟
شغل قرود، بل القرود أفضل.